

سنن النبي (ص)

[73] ربه، فقد صرف دهره في سلوك سبيل الإنابة والمسألة حتى وقف موقفا يرق له قلب كل ناظر رحيم ثم سأل الولد وع¹ بأن ربه سميع الدعاء. فهذا معنى ما ذكره مقدمة لمسألته لا أنه كان يمتن بطول عبوديته على ربه - حاشا مقام النبوة - فمعنى قوله على ما في سورة آل عمران: " رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء " أني أسألك ما أسألك لا لأن لطول عبوديتي - وهو دعاؤه المديد - قدرا عندك أو فيه منة عليك بل لأني أسألك وقد وجدتكم سميعا لدعاء عبادك ومجيبا لدعوة السائلين المضطرين، وقد اضطرني خوف الموالى من ورائي، والحث الشديد لذرية طيبة تعبدك أن أسألك. وقد تقدم أن من الأدب الذي استعمله في دعائه أن ألحق تخوف الموالى قوله: " واجعله رب رضا " والرضي وإن كان طبعه يدل بهيئته على ثبوت الرضا لموصوفه، والرضا يشمل بإطلاقه رضا² ورضا زكريا ورضا يحيى، لكنه قوله في آية آل عمران: " ذرية طيبة " يدل على أن المراد بكونه رضا كونه مرضيا عند زكريا، لأن الذرية إنما تكون طيبة لصاحبها لا غير. ومن ذلك ما حكاه³ سبحانه عن المسيح حين سأل المائدة بقوله: " قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين " (1). القصة المذكورة في كلامه تعالى في سؤال الحواريين عيسى (عليه السلام) نزول مائدة من السماء عليهم تدل بسياقه أن هذه المسألة كانت من الأسئلة الشاقة على عيسى (عليه السلام)، لأن ما حكى عنهم من قولهم له: " يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء " (2) كان أولا مشتملا بظاهره على الاستفهام عن قدرة⁴ سبحانه، ولا يوافق ذلك أدب العبودية وإن كان حاق مرادهم السؤال عن المصلحة دون أصل القدرة فإن حازرة اللفظ على حالها. وكان ثانيا متضمنا لاقتراح آية جديدة مع أن آياته (عليه السلام) الباهرة كانت قد

(1) المائدة: 114. (2) المائدة: 112.
